الحِلَّة فى عيون الرحَّالة العرب والأجانب

د. أشرف فؤاد عثمان أدهم

باحث بالحضارات بالشرق الأوسط وشمال إفريقيا/جامعة القاهرة

Hilla in the Eyes of Arab and Foreign Travelers

Dr. Ashraf Fouad Othman Adham

Researcher in Civilizations of the Middle East and North Africa/Cairo University

الملخَّص

يتناول هذا البحث مدينة الحِلَّـة العراقيَّة بوصفها واحدة من أهم الحواضر العربيَّة التى ازدهرت علمًا وثقافةً وحضارةً منذ تأسيسـها فى القرن الخامس الهجرىّ. ويسـعى البحـث إلى تقديـم قراءة مقارنة لصورة الحِلَّة فى كتابـات المؤرِّخين والأدباء العرب من جهة، وفى روايات الرحَّالة والمسـتشرقين الأجانب من جهة أخرى؛ بهدف الكشف عن طبيعة الانطباعات التى كوَّنهـا كلٌّ منهم حول المدينة وأهلها ودورها فى التاريخ العربىّ والإسلامىّ.

يركِّز البحث على الجوانب العلميَّـة والأدبيَّة والعمرانيَّة التى ميَّزت الحِلَّة بوصفها مركـزًا للفقه واللغة والشـعر والفكر، كما يتوقَّـف عند تصويرها فى الكتابـات الغربيَّة التـى كثيرًا ما ربطتها بإرث بابل القديم وجغرافيَّتهـا النهريَّة المميَّزة. ومن خلال تحليل النصـوص العربيَّـة والغربيَّة، يُظهر البحـث أنَّ صورة الحِلَّة فى الوعـي العربىّ ارتبطت بالعلـم، والهويَّة الثقافيَّة الأصيلة، وكرم أهلها، بينما نظر إليها الأجانب بعين الإعجاب الممزوج بالدهشة تجاه استمراريَّة الحياة فى موطن الحضارات القديمة.

ويخلـص البحـث إلى أنَّ الحِلَّـة كانـت ومـا زالـت رمـزًا للتفاعـل الحضـاريّ بـين الـشرق والغـرب، وأنَّ دراسـتها فى ضـوء المصـادر المتنوِّعـة تكشـف عـن غنى التراث الإنسـانيّ المشـترك مع منجزات الشـعوب المجـاورة، والذى تمثِّله هـذه المدينة العريقة.

Abstract

The research explores the city of Hillah, one of Iraq's most prominent Arab centers of learning, culture, and civilization since its foundation in the fifth Islamic century. It offers a comparative reading of how Arab historians and writers and foreign travelers and Orientalists portrayed the city, aiming to uncover the differing impressions each group held regarding its people, heritage, and historical role in Islamic civilization.

The study highlights al-Hillah's intellectual, literary, and architectural significance as a hub of jurisprudence, language, poetry, and philosophy, while also examining Western depictions that often linked it to the legacy of ancient Babylon and its distinctive riverine geography. Through the analysis of Arabic and Western sources, the research demonstrates that Arab writers viewed al-Hillah as a symbol of knowledge, generosity, and cultural identity, whereas foreign observers saw it with a sense of wonder and admiration for its continuity amid the ruins of ancient civilizations.

Ultimately, the study concludes that al-Hillah stands as a bridge of civilizational dialogue between East and West, and that studying it through diverse sources reveals the richness of the shared human heritage embodied in this history city.

مقدِّمة

كثير من الرواد والرحَّالة الذين جاؤوا أرض العراق، وسجَّلوا مشاهداتهم في مذكِّرات تفصيليَّة، وتمَّ طباعتها في كتب قيِّمة لاقت رواجًا كبيرًا، وهم يفوقوا الحصر، ولا نُجانب الصَّواب تقريبًا حين نقول إنَّ عدد الرحلات الأجنبيَّة التي وصفت العراق، أو حتَّى تطرَّقت لذِكره بوصفه مركزًا من مراكز الحضارة المهمَّة في الشرق، تزيد على ثلاثمائة رحلة كُتبَت بلغاتٍ شتَّى، الإنكليزيَّة، والفرنسيَّة، واللاتينيَّة، والإيطاليَّة، والأسبانيَّة، والبرتغاليَّة، والألمانيَّة، والهولنديَّة، والتركيَّة، والفارسيَّة، وغيرها، وقد طُبِعَ جانب غير قليل منها خلال القرون الأربعة الأخيرة، على أنَّ معظم طبعات تلك الرحلات أصبح اليوم عزيزًا يصعُب الحصول عليه، بل ويعدُّ في حكم النادر[1].

وقد تطرَّق الكثير من هذه المؤلَّفات إلى مدينة الحِلَّة خاصَّةً، وتحدَّثت عن مكانتها التأريخيَّة والعلميَّة والفقهيَّة والأدبيَّة والسياسيَّة، منذ تأسيسها وإلى يومنا هذا، لاسيما المؤلَّفات التي أرَّخت لتاريخ المدينة الحافل بالأحداث العِظام، ودورها المؤثِّر في سير الأحداث التاريخيَّة في العراق بشكلٍ خاصٍّ، وفي العالم العربيّ والإسلاميّ بشكلٍ عام.

وهناك الكثير من الرحَّالة والمؤرِّخين الذين كتبوا في تاريخ الحِلَّة، سواء كانوا من المؤرِّخين أو الرحَّالة المسلمين، أو الأجانب، الذين زاروا المدينة في أثناء رحلاتهم،

(١) الأب جوزييه دى سانتا ماريا الكرملي، رحلة سبستياني إلى العراق، ترجمة: د. بطرس حدَّاد، ط١، الدار العربيَّة للموسوعات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م، ص٥٨.

فكتبوا عن تاريخ المدينة، وأحوالها السياسيَّة والدينيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، وعلى الرغم من أنَّها آراء وأوصاف شخصيَّة قد تختلف من رحَّالة لآخر، إلَّا أنَّها تنقل لنا وصفًا لأحوال الحِلَّة في تلك الأزمنة.

وقد ارتبط اسم الحِلَّة بثلاثة ألقاب:

١. الحِلَّة السيفيَّة:

نسبةً إلى أَبُي الأَعَز دُبَيْس بْنُ سَيفِ الدَوْلَة أَبِي الحَسَن صَدَقَة بْنِ مَنْصُور بْنِ دُبَيْس ابْنِ عَلِي بْنُ مَزِيد النَاشِرِيّ الأَسَدِيّ، وكان حاكم الحِلَّة المزيديَّة، وأمير بادية العراق خلال الأعوام ١١١٩-١١٣٥م. قال عنه (ابن خلكان) صاحب كتاب (وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ وَأَنْبَاءِ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ): «كان جوادًا كريمًا، عنده معرفة بالأدب والشعر، وتمكَّن في خلافة الإمام المسترشد بالله من الاستيلاء على كثير من بلاد العراق، وهو من بيتٍ كبيرٍ، ونسبٍ عريق..»[١].

٢. الحِلَّة المزيديَّة:

نسبةً إلى أبي الحسن عليّ بن مزيد الأسديّ (٩٩٨-١٠١٧م)، وهو أوَّل أمراء بني مزيد، ولقبه (سند الدولة)، وقد منحه بهاء الدولة البويهيّ (أمير البويهيين في العراق وفارس وكرمان) هذا اللقب سنة (٣٩٧هـ)، وقد اتَّخذ من مدينة الحِلَّة مركزًا له، وكانت حينئذٍ بلدة صغيرة على الضفة الغربيَّة للفرات، بين بغداد والكوفة، وكان سكَّانها منتشرين بعدَّة مناطق مِن قَبل، بصحراء القادسيَّة (صحراء النجف)[٢].

(١) د. عليّ الصلابّي، دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلاميّ لمقاومة التغلغل الباطنيّ والغزو الصليبيّ، ط١، المكتبة المصريَّة بالقاهرة، ٢٠٠٧م، ص١٦٤.

(٢) ياقوت الحمويّ، معجم البلدان، ج٥، دار الكتب العلميَّة بالقاهرة، ١٩٩٠م، ص٣٨٥.

٣. الحِلَّة الفيحاء:

وُصِفت مدينة الحِلَّة باسم الفيحاء في العديد من المصادر العربيَّة، كما جاءت في شعر صفيِّ الدين الحِلِّيّ (١٣٤٩م)، من شعراء العصر المملوكيّ، الذى وصفها بذلك في شعره[١]:

مَن لَم تَرَ الحِلَّةَ الفَيحاءَ مُقلَتُهُ
فَإِنَّهُ في اِنقِضاءِ العُمرِ مَغبونُ
أَرضٌ بِها سائِرُ الأَهوالِ قَد جُمِعَت
كَما تَجَمَّعَ فيها الضَّبُّ وَالنُّونُ
فَالغُدرُ طافِحَةٌ وَالريحُ نافِحَةٌ
وَالوُرقُ صادِحَةٌ وَالطَّلُّ مَوضونُ
ما شانَها غِيرُ بَغيِ الجاهِلينَ بِها
كَأَنَّها جَنَّةٌ فيها شَياطينُ

أوَّلًا: الرحَّالة العرب

١. ابن جبير الأندلسيّ:

هو أبو الحسن محمَّد بن جبير الكنانيّ الأندلسيّ، ولِد بمدينة فالنسيا في أسبانيا عام ٥٤٠هـ، وقد انحدر من أسرة عربيَّة عريقة سكنت الأندلس عام ١٢٣هـ، واشتهر برحلاته التي بدأت سنة ٥٧٨هـ، والتي أدَّى فيها فريضة الحجِّ، ثمَّ زار سوريا

(١) أبو البقاء الحِلِّيّ، المناقب المزيديَّة في أخبار الملوك الأسديَّة، ط١، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي، ٢٠٠٠م.

والحجاز وأرض ما بين النهرين، ومنها مدينة الحِلّة السيفيَّة، سنة ٥٨٠هـ، أي بعد خمسٍ وثمانين سنة من تأسيسها، وكانت فى هذا الوقت من أهمِّ المراكز العلميَّة والتعليميَّة فى العراق، وتخرَّج فيها العديد من العلماء والفقهاء ورجال الدين والقضاه الذين تعلَّموا وعلَّموا، وتخرَّج على أيديهم العديد من الشخصيَّات البارزة، ممَّا أضفى على المدينة طابع الأصالة كموقع إستراتيجيّ وجغرافيّ متعدِّد الموارد، قام بدور كبير في تنشيط الحركة العلميَّة، التي كانت الركيزة الأساسيَّة لظهور العديد من العلماء في شتَّى المجالات(١).

وقد وصف ابن جبير مدينة الحِلَّة بقوله: «.. هي مدينة كبيرة عتيقة بشكل مستطيل، كانت محاطة بسور من الآجرِّ والطين، ولم يبقَ منه إلَّا جزءٌ من جدارٍ ترابيّ يحيط بمعظمها، وهي على شطِّ الفرات، الذى يحيط بها من جهة الشرق، ويمتدُّ بطولها، ولهذه المدينة أسواق حافلة جامعة للمرافق المدنيَّة والصناعات الضروريَّة، وهي قويَّة العمارة كثيرة الخَلق، محاطة بحدائق النخيل من حولها وبداخلها حول البيوت، وألفينا بها جسرًا عظيمًا معقودًا على مراكب كبار متَّصلة من الشطِّ إلى الشطِّ، تحفُّ بها من جانبها سلاسل من حديد كالأذرع المفتولة، وترتبط بقطع خشبيَّة ضخمة مثبَّتة بقوَّةٍ في كِلَا الشطَّين، تدلُّ على عِظَم الاستطاعة والقدرة على البناء وعمل التراكيب، وكان الخليفةُ قد أمر بإنشائه على الفرات اهتمامًا بحركة الحجيج من وإلى المدينة، وسهولة الحركة والتنقُّل بين جانبيها عمومًا، وكانوا قبل ذلك يعبرون في المراكب، والتى كانت تُشكِّل صعوبة لهم فى التنقُّل ونقل البضائع بين الجانبَين، بالإضافة لتعرُّض المراكب للغرق أحيانًا»(٢).

وقال عن الفرات: «.. هذا النهر كاسمه فرات، هو من أعذب المياه وأخفِّها، وهو

(١) كاظم باجي الخالديّ، رحلة بن جبير، صحيفة المثقَّف، ٧ كانون الثاني، ٢٠١٠.
(٢) المرجع نفسه.

نهر كبير زخَّار(كثير الماء)، تصعد فيه السفن وتنحدر.. والطريق من الحِلَّة إلى بغداد من أحسن الطرق وأجملها، في بساطٍ من الأرض، وعمائر تتَّصل بها القرى يمينًا وشمالًا، ويشقُّ هذه البسائط أغصان من ماء الفرات تتسرَّب بها وتسقيها، فمحرثها لا حدَّ لاتِّساعه، وانفساحه، فللعين من هذه الطريق مسرح انشراح، وللنفس مراح انبساط وانفساح، والأمن فيها متَّصل..»[1].

٢. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحمويّ:

هو رحَّالة وأديب وشاعر، وخطَّاط ولغويّ، من أصلٍ روميّ، اشتغل بالعلم، وأكثر من دراسة الأدب، وُلِدَ في مدينة حماة عام ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م، ولُقِّبَ لذلك بالحمويّ نسبةً لمدينته حماه، سافر إلى العديد من البلدان، وكانت أولى أسفاره إلى جزيرة قيس في جنوب الخليج العربيّ، وكانت تشتهر آنذاك بالتجارة، وتوالت أسفاره بعد ذلك حيث ذهب إلى بلاد فارس، وأرجاء الشام، والجزيرة العربيَّة، ومصر كافة، وكان في أثناء ذلك يدَوِّن ملاحظاته الخاصَّة عن الأماكن والبلدان والمساجد والقصور والآثار القديمة والحديثة والحكايات والأساطير والغرائب والطرائف[2].

وقد ذكر الأديب ياقوت الحمويّ أهمَّ ما رآه في الحِلَّة في كتابه (معجم البلدان)، وهو (الجامعين) فقال: «الجامِعَين: كذا يقولونه بلفظ المُثَنَّى المجرور، هو حِلَّة بني مِزيَد التي بأرض بابل على الفرات بين بغداد والكوفة، وهي الآن مدينة كبيرة آهلة بالسكَّان..»[3].

(١) د. عليّ محسن عيسى مال الله، مجلَّة المورد، العدد ٤، وزارة الثقافة والإعلام العراقيَّة، ١٩٨٩م، ص٦٣.

(٢) إبراهيم عبد الغنيّ الدروبيّ، البغداديُّون أخبارهم ومجالسهم، مطبعة الرابطة، بغداد، د.ت، ص٢١٧.

(٣) الإمام شهاب الدين الحمويّ الروميّ البغداديّ، معجم البلدان مج١، دار صادر، بيروت،=

ثـمَّ جاء ذِكره لمدينة الحِلَّة بأسـلوب مبـاشر بقوله: «.. والحِلَّة عَلَـم لعدَّة مواضع، وأشـهرها حِلَّـة بني مِزيَد، وهـى مدينة كبيرة بـين الكوفة وبغداد، وأنَّها كانت تسـمَّى الجامعين، طولها سـبع وستُّون درجة وسـدس، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة، تعديل نهارها خمس عشرة درجة، وأطول نهارها أربع عشرة ساعة وربع، وكان أوَّل من عمَّرها ونزلها سـيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن عليّ بن مزيد الأسـديّ، الذى أعاد إعـمار المدينة، وأحاطها بسـور من الآجرِّ والطـين، واتَّخذها مركزًا لإمارته، وسـمِّيت وقتها الحِلَّة المزيديَّة نسـبةً إلى بنـى مزيد، وهى قبيلة الأمير صدقـة، وكانت منازلُ آبائه بناحية النيل بقضاء بابل، ولـمَّا قَوِيَ أمرُه، واشتدَّ أزرُه، وكثُرَت أموالُه؛ لانشتغال الملوك السـلجوقيَّة بما تواتر بينهم من الحروب، انتقل إلى الجامعين (مثَّنى جامع)، وهوموضع في غـربي الفرات؛ لِيَبعدَ عن المشـاحنات، وذلك في محرَّم سـنة ٤٩٥هـ، وكانت وقتها أَجَمَةً تأوي إليها السِّـباع، فجهَّزها للمعيشة، ونزل بها بأهله وعساكره، وبنى بها المساكن الجليلـة والدور الفاخرة، وتأنَّق أصحابه في مثل ذلـك، فصارت منطقة الجامعين ملجأً لسـيف الدولـة وأهله وحاشـيته، وقد قصدها التجَّـار؛ لازدهار حركـة البيع والشراء بأسواقها، فصارت أفخرَ بلاد العراق وأحسنها مدَّة حياته، ولـمَّا قُتِلَ بقيت على مكانتها لسنوات طويلة..»[1].

٣. عمانوئيل فتح الله عمانوئيل مضبوط (كان حيًّا عام ١٩١٢م):

رحَّالـة مسـيحيّ، عاش في بغداد مطلع القـرن العشرين، وقام برحلـة إلى مدينتَي كربـلاء والحِلَّة في نهاية العقد الأوَّل من القرن العشرين، ودوَّنَ وقائع رحلته في رسـالة

=١٩٧٧م، ص٢٦٥.

(١) نبيـل عبـد الأمـير الربيعـيّ، دراسـة الـتراث فى العـراق (مقـال)، مجلَّـة الجامعـين، بغـداد، ٢٠١٧م.

بعنوان (سفرة إلى كربلاء والحِلَّة ونواحيها)، وصف فيها مراحل الطريق لهاتين المدينتَين، وما كان فيها من الخانات والمحطَّات، وأرَّخ لكلِّ هذه المعالم بما نَمَّ عن اطِّلاعه على كتب التاريخ، ووصف أطلال مدينة قورش، كما سمَّاها المؤرِّخون العرب، واستقى معلوماته عنها من المنقِّب الألمانيّ (روبرت كولدواي) الذي كان يرأس بعثة التنقيب.

وممَّا ذكره في رحلته، وصفه لمدينة الحِلَّة بقوله: «قبل نحو عشرين سنة، كان السفر إلى الحِلَّة من الأمور الشاقَّة، لِما يتكلَّف المسافر من تحميل الأثقال، وركوب البغال، وإعداد الزَّاد، واتِّخاذ الاحتياطات اللازمة لتجنُّب مخاطر الطريق من الأعراب المنتشرة في بوادي هذه الأرجاء، أمَّا اليوم فتوثير الطريق الواصل بين بغداد والحِلَّة وتمهيده أثار في أهل الوطن الاطمئنان لعدم تعرُّضه في سفرهم لما يُكدِّر صفوَ رحلتهم، اللهمَّ إلَّا في النادر، والنادر لا يُقاس عليه..».

وأضاف عمَّانوئيل أيضًا: «.. ثمَّ أتممنا المسير إلى نحو الساعة السابعة، فهبطنا بُليدة المُسيَّب (باعتبارها مدخلًا لمدينة الحِلَّة)، بضمِّ الميم وتشديد الياء المفتوحة، فنزلنا من العجلات، وعبرنا الجسر على الأقدام، وهذه القرية مبنيَّة على ضفَتَي الفرات، فيها مساكن كثيرة، وجامع فيه منارة، ثمَّ محجر صحِّي ودار برق (تلغراف خانة)، إلى غير ذلك. وسمِّيت هذه البُليدة بالمسيَّب نسبةً إلى (المسيَّب بن نجبة الفزاريّ)، وكان من أصحاب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وخِيارهم، وكان قد قُتِل يوم الجمعة لخمسٍ بقينَ من جمادى الأولى سنة ٦٥هـ (٦ كانون الثاني ٦٨٥م)، في وقعة عين الورد أو عين الوردة[1]، ولكن لا نظنُّ أنَّه دُفن في هذا الموطن، وإنَّما بُني له فيه مزار، فسمِّي هذا

(١) هي معركة دارت بين المطالبين بالثأر لمقتل الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام في واقعة الطفِّ يوم عاشوراء ١٠ محرَّم سنة ٦١ للهجرة، وبين قوَّات الدولة الأمويَّة.

المكان باسم المزار[1]. وفي المسيَّب حركة عظيمة؛ لما يختلف إليها من الناس، إذ يُرى فيها كلِّ سنة أكثر من مائتي ألف زائر يأتونها من جميع البلاد عن طريق بغداد، ليذهبوا إلى كربلاء، أمَّا عدد سكَّانها المقيمون فيها فيقدَّر بستَّة آلاف نسمة، وكان في نيَّة مدحت باشا[2] أن يجعل ممرَّ السكَّة الحديديَّة في المسيب على جسر يركب الفرات».

٤. ابن بطُّوطه:

هو محمَّد بن عبد الله بن محمَّد اللواتيّ الطنجيّ، ولِد في مدينة طنجة المغربيَّة عام ٧٠٣هـ، واشتُهر باسم ابن بطُّوطة، ولا يوجد سبَّب مؤكد لذلك، فقد يرى البعض أنَّه مُشتق من فاطمة أو فطومة، وهو اسم أُمِّه، ومن المعروف أنَّ عادة تسمية الابن بأمِّه كانت شائعة في بلاد المغرب الأقصى خلال تلك الحقبة الزمنيَّة. ويُعدُّ الرحَّالة المغربيّ ابن بطُّوطة من أشهر الرحَّالة المسلمين عبر التاريخ، زار في رحلته الطويلة بقاعًا شتَّى في قارَّات العالم الثلاث القديمة، ووصل إلى مصر والحبشة والشام والحجاز ونجد وبلاد فارس واليمن وعمان والبحرين وبلاد آسيا الوسطى والهند والصين، ومن بين البلاد التي زارها العراق، حيث تجوَّل بين مدنها، وترك في كتاباته، وصفًا ممتعًا للعديد من الأسواق والمساجد والمراقد فيها.. واستغرقت تلك الرحلة ٢٧ سنة كاملة، وفي نهايتها رجع ابن بطُّوطة إلى وطنه، فعاش به ما تبقَّى له من العمر، وتوفِّي في طنجة عام ٧٧٩هـ.

وقد زار ابن بطُّوطة مدينة الكوفة بالعراق، واتَّجه بعدها لمدينة الحِلَّة، فكتب مُظهِرًا إعجابه بعمرانها، وقال: «هي مدينة كبيرة مستطيلة، يحدُّها الفرات من الشرق، ولها

(١) ابن حجر العسقلانيّ، الإصابة فى تمييز الصحابة، على موقع نداء الإيمان، نسخة محفوظة، ٢٧ أغسطس ٢٠١٦، على موقع واي باك مشين.

(٢) تولَّى مناصب عديدة، منها الصدارة العظمى، ووزير العدل، وخدم قبلها واليًا لولاية بغداد، وولاية دمشق، وولاية سالونيك.

أسواق حسنة جامعة للمرافق والصناعات، وهي كثيرة العمارة، وحدائق النخل منتظمة بها داخلًا وخارجًا، ودورها بين الحدائق، ولها جسر عظيم معقود على مراكب متَّصلة منتظمة فيما بين الشطَّين تحفُّ بها من جانبيها سلاسل من حديد مربوطة في كِلَا الشطَّين إلى خشبة عظيمة مثبتة بالساحل..»[1].

وأضاف: «أهل هذه المدينة كلُّهم إماميَّة اثنا عشريَّة، وهم طائفتان، تُعرف إحداهما بالأكراد، وتُعرف الأخرى بأهل الجامعين، والفتنة بينهما متَّصلة، والقتال قائم أبدًا، وبمقربة من السوق الأعظم بهذه المدينة مسجد على بابه ستر من الحرير المسدول، وهم يسمُّونه (مشهد صاحب الزمان)، ومن عاداتهم أن يخرج في كلِّ ليلة مائة رجل من أهل المدينة وبأيديهم السيوف، فيأتون أمير المدينة بعد صلاة العصر، فيأخذون منه فرسًا مُلَّجَّمًا أو بغلة، فيضربون الطبول والأنفار والبوقات أمام تلك الدابَّة، ويتقدَّمها خمسون منهم، ويتبعها مثلهم، ويمشي آخرون عن يمينها وشمالها، ويأتون مشهد صاحب الزمان عليه السلام، فيقفون بالباب ويقولون: «بسم الله يا صاحب الزمان، بسم الله اخرج، قد ظهر الفساد، وكثر الظلم، وهذا أوان خروجك فيفرِّق الله بك بين الحقِّ والباطل»، ولا يزالون كذلك، وهم يضربون الأبواق والأطبال والأنفار إلى صلاة المغرب، وهم يقولون: (إنَّ محمَّد بن الحسن العسكريّ دخل ذلك المسجد، وغاب فيه، وإنَّه سيخرج)، وهو الإمام المنتظر عندهم»[2].

٥. الأديب والمؤرِّخ النسَّابة السيِّد عبَّاس المكِّيّ:

ولِد في مكَّة المكرَّمة سنة ١٦٩٨م، وهو عالم وشاعر، وأديب، ورحَّالة

(١) محمَّد يسري، أين وقع ابن بطُّوطة في حبِّ العراق وأهله (مقال)، موقع: ارفع صوتك، ١٣ أبريل ٢٠٢٣م.

(٢) حيدر السيِّد موسى وتوت الحسينيّ، مزارات الحِلَّة الفيحاء، مركز تراث الحِلَّة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، د.ت، صفحات متفرِّقة.

مـن أعـلام الشـيعة الإماميَّـة، وصاحـب الكتـاب الشـهير (نزهـة الجليـس ومنيـة الأديـب الأنيـس)، ولـه أشـعار كثـيرة، مـن أجملهـا ما قالـه عن الإمـام عـليّ بن أبي طالب عليه السلام:

يـا صَـاحـبَ الـقـبَّـةِ الـبـيـضـاءَ في النَّجفِ

مَـن زارَ قـبركَ واستَـشفَـى لـديـكَ شُفِي

وجـاء في كتابـه أيضًا: «.. فلـمَّا أنار وجه الصبـاح، وزالت عنَّا الهمـوم والأتراح، ثامن من محرَّم سـنة ألف ومائة واثنين وثلاثين من هجرة سـيِّد الملاح، رحلنا من المدينة المنـوَّرة، وقصدنـا أرض نجـد، وقد تحـرَّك لرؤية جمال العـراق من قلوب أهـل المودَّة الوجد، والعراق مدينة خصبة مشـهورة، كلُّ قراها معمورة، وهي عرضًا من القادسـيَّة إلى حلوان (وتسـمَّى أيضًا حلوان بن عمران)، وطولًا من الموصل إلى عبَّادان، هواؤها ينعش القلب، فيصير بـه كالصبِّ (ريح ناعمة)، وماؤها نميرٌ عذب، وترابها كالكافور صنعه الحكيم القديم، وهي عين القلادة لما كان للعرب من الأقاليم، وأهلها أهل صحَّةٍ في العقـول والأبدان.. فلم نزل نحثُّ على الوصول إلى ذلـك الجناب الخيل والركاب، ونطلب العون من ربِّ الارباب، إلى أن أتينا بعون الملك العلي إلى مشـهد عليّ، فتشرَّفنا بزيارته، وسـعدنا ثانيًا وذلك من سـعادته، ثمَّ رحلنا بعد أيَّام إلى الحِلَّة، وقد شفى قلبنا مـن كلِّ عِلَّة، بزيارة ابن عمِّ خير خلق الله، وزرنا مسـجد الشـمس المشـهور، المشرف المأثـور، المشرق بالنـور، ورأينا المنارة التي هي من عجائب الدهـور، فإنَّها تهتزُّ بقوَّة إذا حلَّفتهـا بعليّ بن أبي طالب أسـد الله المنصـور، فصعدنا فوقها وحلَّفناهـا أن تهتزَّ بعليّ، فاهتـزَّت حتَّى خشـينا أن تقع من علٍ، بل نقـول إن هذه المنارة ليسـت من العجائب، فكـم مثلها من معجزات وغرائب، وهذا قليل من كثير من معجزاته، وبراهينه، وآياته، كيف لا وهو:

داحـــي الــبــاب عـــليّ المـرتـضى
هـل تجـد يـا صـاحـبـي مـثل عـليّ
ذلَّ عــمــرو يــوم لاقـــاه وقـد
شــهـد الله بـتـفـضـيـل عـــليّ[1]

٦. شِهَابُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ الله يَاقُوتِ بْنُ عَبْدِ الله الحَمَوِيّ الرُّوميّ البغدَاديّ:

أديب وشاعر ولغويّ وخطّاط ورحّالة جغرافيّ، ومؤلّفاته الموسوعات، وهو من أصلٍ روميّ، سكن في مدينة بغداد حتّى وفاتهِ، سمَّى نفسه (عبد الرحمن). من أهمّ مؤلّفاته كتاب (معجم البلدان)، الذي تُرجم وطُبع عدَّة مرَّات، وجاء فيه عن رحلته للحِلَّة:

الحِلَّةُ (في اللغة) بكسر الحاء وتشديد اللام، بمعنى: القوم النزول وفيهم كثرة. قال الأعشى:

لقدْ كانَ في شيبانَ، لو كُنتَ عَالِمًا
قِبابٌ وحيٌ حِلَّةٌ وذرأهُمُ

والحِلَّة أيضًا: شجرة شاكَّة أصغر من العوسج (شجرة بريَّة تنبت في الأراضي الجافَّة)، وأضاف الأعشى:

يأكل من خَصب سَيال وسَلَم
وحِلَّةٍ لَمَّا يوَطئها النِّعم

وأضاف الحمويّ: «الحِلَّة عَلَم لعدَّة مواضع، أشهرها حِلَّة بني مزيد: وهي مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد، كانت تُسَمَّى الجامعين، طولها سبع وستون درجة وسُدس،

(١) سماحة العلَّامة العبَّاس بن عليّ الموسويّ المكّيّ، نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، ج ١، انتشارات المكتبة الحيدريَّة، ١٣١٧هـ، ص٢٩٧-٢٩٩.

وعرضها اثنتان وثلاثون درجة، تعديل نهارها خمس عشرة درجة، وأطول نهارها أربع عشرة ساعة وربع، وكان أوَّل من نزلها وعَمَّرها سيف الدولة صَدَقة بن منصور بن دبيس بن عليّ بن مزيد الأسديّ، وكانت منازل آبائه بناحية النيل، فلمَّا قَوي أمره واشتدَّ أزرُه، وكثُرَت أمواله؛ لاشتغال الملوك السلجوقيَّة (بركياروق) والمُلَقَّب بـ(بهاء الدولة)، و(محمَّد)، و(سنجر) أولاد (ملك شاه بن آلب أرسلان) ومعناها بالتركيَّة الأسد الباسل، بما تواتر بينهم من الحروب، انتقلت حتَّى ناحية الجامعين غرب الفرات سنة ٤٩٥هـ، وكانت هذه المنطقة أجمة مهجورة تأوي إليها السِّباع، فنزل بها سيف الدولة بأهله وعساكره، وبنى بها الطرقات والمساكن والدور الفاخرة، فصارت أفخر بلاد العراق وأجملها مدَّة حياته، فلمَّا قُتِل بقيت على عمارتها وجمالها، وكتب في جمالها الكثير من الشعراء، منهم إبراهيم بن عثمان الغزِّيّ، وغيره»[1].

وأضاف الحمويّ البغداديّ أيضًا: «إنَّ الحِلَّة هى حِلَّة بنى قيلة بشارع ميسان بين واسط والبصرة، والحِلَّة أيضًا: حِلَّة بنى دُبيس بن عفيف الأسدىّ، قرب الحويزة من ميسان بين واسط والبصرة، والأهواز فى موضع آخر..».

ثانيًا: الرحَّالة الأجانب

كان منهم الباحث عن الآثار، والمستكشف الجغرافيّ، والمحبُّ للأسفار، ومنهم من استرعى انتباهه معادن هذه الأقطار، والكثير من خيراتها الأخرى، وفيهم رجل الدين، والسياسيّ، والطبيب، والمتتبِّع لأحوال الشعوب، والمهتمِّين بشؤون العالم الشرقيّ المترامي الأطراف، والذى يحوى كلَّ ما تصبو إليه نفوس الغرب لاكتشاف

(١) الإمام شهاب الدين ياقوت الحمويّ البغداديّ، معجم البلدان ج٢، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م، ص٣٣٨.

أسرار الشرق.

ونذكر هنا ما قالته الأستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء)[1]: «إنَّنا ندين للمستشرقين بجمع التراث، وصونه من الضياع.. وتسألون: وماذا لو تركوا تراثنا لنا، أمَا كنَّا أهلًا لجمعه وصونه؟ فأجيبكم بملء يقيني: كلَّا.. كنَّا في غفلةٍ عنه، لا نكاد نحسُّ وجوده، أو نعرف قيمته، أو نقدِّر حاجتنا إليه..».

١. الرحَّالة بنيامين التطيليّ ١١٦٥ - ١١٧٣م:

هو الرابي بنيامين بن الرابي يونة التطيليّ النباريّ الأسبانيّ اليهوديّ، (الرابي هو الربَّاني، وهو أقلّ من رتبة الحاخام)، قام برحلته من سنة ١١٥٩-١١٧٣م، وبلغ الصين مارًّا بالبلاد العربيَّة، وعنى في رحلاته بدراسة أحوال اليهود وأماكن عباداتهم في الأقاليم المختلفة التى مرَّ بها، وقد كتب رحلته باللغة العبريَّة، ثمَّ نُقِلت إلى اللاتينيَّة ومن ثمَّ إلى أغلب اللغات الأوروبيَّة، نقلها اليهوديّ العراقيّ (عزرا حدَّاد) من العبريَّة إلى العربيَّة، وطُبعت بالمطبعة الشرقيَّة في بغداد سنة ١٩٤٥م[2].

وسنعرض فى التالي بعض ممَّا ذكره أثناء تجواله بالحِلَّة.

«الحِلَّة يعيش فيها نحو عشرة آلاف يهوديّ، عندهم أربع كنائس (كانت معروفة فى القرون الوسطى)، أولاها: كنيسة الرابي (مثير)، وفيها قبره، والثانية: كنيسة الرابي (زعيري بار حامة)، وفيها قبره أيضًا، ويقيم اليهود فريضة الصلاة فى هذه الكنائس

(١) مُفكرة وكاتبة مصريَّة، وأستاذة جامعيَّة، وباحثة، وهي أوَّل امرأة تُحاضر بالأزهر الشريف، ومن أوائل من اشتغلن بالصحافة في مصر، وبالخصوص في جريدة الأهرام، وهي كذلك أوَّل امرأة عربيَّة تنال جائزة الملك فيصل العالميَّة في اللغة العربيَّة والأدب، سنة ١٩٩٤.

(٢) د. صلاح جرار، زمان الوصل، دراسات فى الحضاريّ والثقافيّ فى الأندلس، المؤسَّسة العربيَّة للدراسات والنشر، بغداد، ٢٠٠٤م، ص٨٠.

يوميًّا، وفيها على بُعد أربعة أميال:

كنيسة برس نمرود: ومعناها آثار برس، وهى مدينة سومريَّة قديمة، وهي مشيَّدة بالحجارة، والتى يسمِّيها الناس هناك بالآجرِّ، ويبلغ طول الأساسات فيها ميلين، وعرضها مائتين وأربعين ذراعًا، والارتفاع مائة قصبة، وبين كلِّ عشرة أذرع صعودًا توجد طريق مفتولة تعرج بالصاعد إلى أعلى البناء، ومن قمَّته يمكن رؤية ما حوله إلى مسافة عشرين ميلًا. ويُقال إنَّ صاعقةً انقضَّت على هذا المكان؛ فأحرقت أكثره.

وعلى مسيرة نصف يوم منه:

كنيسة إسحق نفاحة: وفيها قبره (قبر اسحاق، ويعتبره اليهود بأنَّه هو الذبيح)، ويسكن بمنطقة نفاحة حوالى مائتي يهودي، وهي على مسيرة ثلاثة فراسخ من مرقد حزقيال.

كنيسة مرقد حزقيال: وهو ذو الكفل، وهو من أهمِّ وأقدس المزارات اليهوديَّة فى العراق، ويقع على شاطئ الفرات، وهو بناء جسيم يحتوى على ستِّين صومعة، لكلٍّ منها برج، ويتوسَّط أكبرها منبر خلفُه مرقد النبيّ حزقيال بن بوزي الكاهن، تعلوه قبَّة كبيرة تعتبر آية فى حُسن الإنشاء. ويقال بناها الملك يهوذا وثلاثون ألفًا من أتباعه كان قد تمَّ تسريحهم من الأسر من الملك مردوخ البابليّ. ومرقد حزقيال على فرع من الفرات يسمَّى كيبار (ويسمَّى حاليًا فرع الهنديَّة)، ومنقوش على حجارة المرقد اسم حزقيال النبيّ. وهذا المكان يعظِّمه اليهود ويحجُّونه من أقاصى البلاد للتبرُّك به وإقامة الصلاة فيه، ويحلُّ موسم هذه الزيارة بين عيد رأس السنة وعيد الكفارة (وهذه الفترة عشرة أيَّام يسمِّيها اليهود أيَّام التوبة، وتقع فى أواخر أيلول)[1]، فتُقام الأفراح والمهرجانات، وتحضرها جموع غفيرة من اليهود من كلِّ أنحاء

(١) نجوى غزالي، محاضرات فى العهد القديم ج١، المكتبة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة بالقاهرة،=

العـراق، فتضطرُّ الجمـوع الغفيرة للإقامـة فى العراء، ويمتـدُّ مخيمَّهم إلى مسـافة اثنين وعشريـن ميلًا، ويقيم الأعراب فى هذا الموسـم سـوقًا عظيمة، يبيعون فيهـا كلَّ أنواع السِّلع للحجَّاج من اليهود.

وأضاف بنيامين: وتُتلى فى عيد الكفَّارة فصول محدَّدة من أسفار موسى، من مخطوط كبـير يُقـال إنَّ حزقيال هو الذى كتبه بيـده، ويضعون فوق قبره قنديلًا كبـيرًا يتَّقد ليلًا ونهـارًا، ويُقال إنَّ النبيّ حزقيال كان أوَّل من أشـعله، ويقوم عليه متعهِّد مسـؤول عن تبديل الفتائل وتجديد الزَّيت كلَّما دعت الحاجه إلى ذلك..

وتجاور مرقد حزقيال دارًا من أوقافه فيها خزانة كتب يُقال إنَّ بعضها يرتقى تاريخه إلى عهـد الهيكل الثاني، وجرت العـادة أنَّ من يموت بلا عقب (بلا وريث) تُوقَف كتبه على خزانة الدار هذه.

وأضـاف أيضًا: «أنَّـه يوجد فى مقـام النبيّ حزقيـال طائفة تُسَـمَّى (المجاورين)، مهمَّتهـم العناية بالـزوَّار القادمين لزيـارة المرقد من بلاد فارس وبـلاد مادي (جنوب بحر قزوين) ممَّن ينذرون الحجَّ لقبر النبيّ حزقيال، فيكونون لهم أدلَّاء ومرشدين. ومن زوَّار هذا المرقد أيضًا جماعة من أتقياء المسـلمين (عنـد مرورهم للحجِّ بمكَّة)، فيؤمُّونه لإقامة الصلاة فيه، وللمرقد فى قلوبهم حُرمةً كبيرة، ويسـمُّونه عندهم (دار المليحة)[1]، ولهذا المرقد أوقاف واسـعة من العقارات والضِّيـاع، يُقال أنَّها من تركة الملك (يَكُنْيَا بن يهوياقيـم)، ولـمَّا تولَّى الخليفة العبَّاسيّ (محمَّد المقتفي) شـؤون البـلاد، أيَّد حقَّ المرقد فى كلِّ هذه الأوقاف».

=٢٠١٥م، صفحات مختلفة.

(١) قال ياقوت الحمويّ: «هو موضع فى أرض بابل قرب حِلَّة دبيس بن مزيد، بها قبر باروخ (معلِّم حزقيال)، وقبر يوسف، وقبر يوشع، وقبر عزرا، بالإضافة إلى قبر حزقيال المعروف بذى الكفل، ويقصده اليهود من كلِّ بلاد العالم.

٢. الرحَّالة مدام ديولافوا:

هـي الرحَّالة والأديبة الفرنسيَّة مدام (جـان ديولافوا)، وقد زارت العراق سـنة ١٨٨١م، فى ولايـة (تقيّ الدين باشـا) الثانية على العراق.. وكانـت تتابع الآثار الثمينة فى خرائب بابل، وتتابع رحلتها بقولها: وفى الوقت الذى كنَّا نتفرَّج فيه على هذه الأشياء القديمة الثمينة، كان الجوُّ قد أخذ فى التحسُّـن، ولطف الهواء.. فيمَّمنا وجهنا إلى مدينة الحِلَّـة.. حتَّـى أخذنا نسـير فى طريق جميل انتصب عـلى جانبيه النخل بشـكلٍ جذَّاب، وكانـت الطبيعـة جميلـة جدًّا بعد هطـول الأمطار، فـأوراق وأغصان الأشـجار نضرة مزدهـرة، تعلَّقت بأطرافها قطـرات الغيث كأنَّها قطع الألماس اللمَّاعة، والأطيار تنشـد وتغنِّي، وهى تنتقل من فرع لآخر، والشـمس التى أخذت تبدو من بين شـفيف الغمام، تبعث بأشـعَّتها الواهنـة فتزيد المنظر روعةً وجمالًا.. وبعد ثلاث سـاعات متواصلة من السَّـير، بدت لنا عـن كثب عدَّة منائر بيض، وبعد قليل بلغنـا أوَّل حيٍّ من أحياء مدينة الحِلَّـة، وواجهنـا جسر عائم صغير أُنشـىء هو أيضًا من القـوارب، إلَّا أنَّه كان يتَّصف بقلَّـة حركة المرور عليه، بالمقارنة بجسر بغداد، وبعـد أن عبرناه دخلنا المدينة. وما كدنا نصل أوَّل ميدان حتَّى استقبلنا مرافقينا من رجال الأمن، وكانوا قد سبقونا فى الذهاب للمدينـة، وأخذونـا إلى دار خالية يملكها أحـد أغنياء المدينة، وكان قـد ذهب للحجِّ. والحِلَّـة هى إحدى المدن التابعة لحكومة بغـداد، وقيل لي إنَّها قد اجتاحها وباء الطاعون سـنة ١٨٣٢م، وذهب ضحَّيته عدد كبير من أهلها. وكان يسكنها وقت زيارتي للمدينة حوالى خمسة عشر ألف نسمة تقريبًا، وهم خليط، وقد قال ياقوت الحمويّ: «هو موضع فى أرض بابل قرب حِلَّة دبيس بن مزيد، بها قبر باروخ (معلِّم حزقيال)، وقبر يوسـف، وقبر يوشع، وقبر عزرا، بالإضافة إلى قبر حزقيال المعروف بذى الكفل، ويقصده اليهود من كلِّ بلاد العالم..».

وأضافت لافوا: لم نرَ في مدينة الحِلَّة بناية مهمَّة تُلفِت النَّظر قد شُيِّدت في العصر الإسلاميّ البتَّة، اللهمَّ مسجدًا صغيرًا شيَّدوه في ذلك الوقت في الطريق الذي يصل الحِلَّة بكربلاء، وهو يُعرَف بمشهد الشمس، أو مسجد عليّ، وتذكر الروايات المشهورة أنَّ عليًّا أمير المؤمنين عليه السلام كان قد أشار إلى الشمس لتقف في هذا المكان؛ لاستكمال انتصاره في إحدى حروبه[1].

٣. الرحَّالة بكنجهام:

هو الصحفيّ والكاتب والرحَّالة الإنجليزيّ جيمس سلك بكنغهام، حصل بكنغهام في صغره على تعليم محدود، وقضى طفولته وهو يجوب البحر، وقد زار مصر وجابها من أقصى شمالها إلى جنوبها سنة ١٨١٢م، ثمَّ زار فلسطين سنة ١٨١٤م، ثمَّ رحلته الى سوريا والعراق وإيران سنة ١٨١٦م، ثمَّ ذهب إلى الهند، وأصدر هناك جريدة كلكتَّا سنة ١٨١٨م، وطردته إنجلترا من الهند بسبب نقده اللاذع للاستعمار الإنجليزيّ في جريدته، فعاد إلى إنجلترا، ولـمَّا استقرَّ به المقام هناك، أصدر جريدة أسماها (صوت الشرق).

وقد بدأ بكنجهام وصف رحلته للحِلَّة بزيارته لأطلال قصر نبوخذنصَّر، ولكنَّه لم يستطع أن يدخل إليه؛ بسبب ما زعم الناس عن وجود آفات ووحوش بداخله، حتَّى أنَّ سكَّان المدينة يعتبرونه موطنًا للهوام والشياطين، بالاضافة إلى مختلف أنواع الزواحف السامَّة، ويُعتقَد أنَّ القصر والجنائن المعلَّقة كانت قائمة بالكامل في هذا المكان، حتَّى أنَّ هذا المكان لا يزال يُطلق عليه اسم بابل حتَّى وقتنا الحاليّ، لكنَّه يميِّز هذا بوضوح عن برج بابل الذي وصفه بأنَّه يقع على بعد أربعة أميال خلف (حلان)، ويقصد بذلك

(١) السيِّدة ديولافوا، رحلة مدام ديولافوا من المحمَّرة إلى البصرة وبغداد، ترجمها عن الفارسيَّة: عليّ البصريّ، الدار العربيَّة للموسوعات، بيروت، لبنان، د.ت، ص١٣١

الحِلَّـة. ولقـد كان هناك حوالى عـشرة آلاف يهوديّ، وهو نفس عددهـم حاليًّا فى الحِلَّة بلا زيادة ولا نقصان.

برج بابل (النمرود) (من الخيال)، أوَّل ناطحة سحاب فى التاريخ

وواصلنا السـير نحو الشرق، وشاهدنا بضعة تلال على جانبي الطريق، حتَّى بلغنا ضريحًا صغيرًا لأحد الشـيوخ، ونبتت على مقربة منه بضع نخلات فى هذا العراء الجافِّ اللَّاهب، وكانت تبدو خلف الضريح تلال كبيرة، أحدها عالٍ هرميِّ الشَّـكل، وكنَّا فى الأصل نبحث عن تلِّ الأحيمر (وهو مدينة كيش الأثريَّة)، ولكن لم نعثر عليه، رغم أنَّنا قطعنـا أكثر من عشرة أميال عـن الطريق الذى وصفه لنا أهل المكان، فمررنا بعدَّة تلال تغطِّيها كسر الآجرِّ والفخار الجميل، وكانت سلاسل التلال تشير إلى أنَّها كانت تُستغلُّ كقنـوات لريِّ هـذا الجزء الباقي مـن بابل. وبعد مضي سـاعة ونصـف تقريبًا، وصلنا (تل الأحيمر)، واقتربت منه لأتفحَّصه.. وكان كبيرًا، ويتألَّف من أنقاض غير متماسكة، وينحدر جهة القاعدة بشدَّة، فلا يمكن صعوده على ظهر حصان، ولا حتَّى على الأقدام؛ لشدَّة انحداره، ولكنَّا صعدنا من الجهة الشرقيَّة؛ لقلَّة انحدارها نسبيًّا.. ومن مظهر التلِّ

من كلِّ جوانبه وبقاياه المتناثرة، تأكَّد لديَّ أنَّ هذا التلَّ يمثِّل بقيَّة سور واسع، وأنَّه ليس جزءًا من أيَّة بناية مكشوفة.. وقد اشتدَّت الحرارة كثيرًا في هذا المكان، ونحن في هذا السهل الجافِّ وتحت الشمس المحرقة، وتضاعف إحساسنا بالحرارة بهبوب رياح جافَّة وساخنة لا تُطاق، كما أنَّها كانت تجلب معها سُحبًا من الغبار والرمال، وكانت كلُّ هذه الظروف سببًا جعلتنا نُسرع لمغادرة المكان، حتَّى أنَّني لم استطع أن أدوِّن ملاحظاتي إلَّا في اليوم التالي في مكانٍ هادئٍ من الخان الذي حَللنا فيه بالحِلَّة.

إحدى جهات تل الأحيمر

وقد أستعان بكنجهام في كتاباته عن رحلاته بأراء الكثير من الرحَّالة الإغريق عند زيارتهم لبابل (الحِلَّة)، فقال عن (ديودورس الصقليّ ٩٠-٣٠ق.م): «إنَّ أسوار بابل وضخامتها جعلتها من عجائب الدنيا السبع، وقد أُنشئت هذه الأسوار لضمان حماية الإمبراطوريَّة كلّها، ويصبح من المستحيل على العدو اقتحامه»(١).

كما ذكر عن المؤرِّخ والكاتب الروماني (كوينتوس ١٨٨٥م): «أنَّ أبنية الحِلَّة لم تكن ملاصقة للأسوار، ولكنَّهم كانوا يتركون هذه المسافة الواسعة بين المساكن والأسوار لضمان زيادة الحماية لهم، وكانوا يستغلُّون ثلث مساحة المدينة للمباني، والثلثين للزراعة، وهي مساحة كافية لضمان كفاية المدينة من المنتجات الزراعيَّة في ظروف الحصار، وهو ما أكَّده المؤرخ اليونانيّ (هيرودوت ٤٨٤-٤٢٥ق.م) في قوله عن حصار كورش للحِلَّة

(١) جيمس بكنجهام، رحلتي إلى العراق، ج٢، المجمع العلميّ، بغداد، ١٩٦٩م، ص٢٩.

حوالي سنة ٥٣٩ق.م: .. لم يشعر السكَّان بالحصار؛ لوفرة الغذاء لهم إلَّا بعد دخولهم فى ليلة اليوم التالي للحصار»[١].

٤. الرحَّالة الأب فيليب الكرمليّ:

يُقال له (هيرونيموس سبستيانى)، وُلِدَ فى بلدة كابرارولا بإيطاليا سنة ١٦٢٣م، وتوفِّي سنة ١٦٧٢م فى مقاطعة أورمبريا بوسط إيطاليا، وقد انتمى فى بداية شبابه إلى الرهبنة الكرمليَّة[٢]، فصار يُعرَف بالأب جوزيه دى سانتا ماريا الكرملى، وتوفِّي عام ١٦٨٩م، وقد عُرِف عنه ميوله الصوفيَّة؛ لميله إلى العزلة والتأمُّل فى خلق الله، وكان يقول عن الحرِّ الشديد الذى صادفه فى العراق: «إنَّ هذا الحرّ يجعلنى أفكِّر بعذاب الآخرة فى جهنم، فيستغفر ربَّه..». وكان يتميَّز بارتدائه ملابس البلد التى ينزلها، ومحاولاته تعلُّم اللغة العربيَّة، وقد كتب رحلته إلى العراق والهند والعودة باللغة الإيطاليَّة، وطُبِعَت فى روما سنة ١٦٦٦-١٦٧٢م، في مجلَّدين أصبحا من أهمِّ المطبوعات فى أدب الرحلات فى العصر الحديث.

وإذا اعتبرنا أنَّ بابل هى الحِلَّة حاليًا، فقد جاء فى تعليق الأب فيليب: «.. فقد مررنا ببابل، وهي تبعد ٦٠ ميلًا عن بغداد، وتقع على الفرات، وقد تعرَّضت (بابل) لخراب كلِّي، وتلاشت تلك المملكة التى كانت تلقي الرعب فى آسيا كلِّها، ولم يبقَ منها إلَّا ذكريات مشينة عن الملكة سميرأميس (زوجة النمرود)، ونبوخذنصَّر (ثانى ملوك إمبراطوريَّة بابل)، وغيرهما من الطغاة.

(١) جيمس بكنجهام، رحلتى إلى العراق، ص٣١.

(٢) اسمها الرسميّ رهبنة إخوة سيِّدة جبل الكرمليّ، وهى رهبنة في الكنيسة الكاثوليكيَّة، تأسَّست في القرن الثاني عشر في مملكة بيت المقدس، وتعتمد في روحانيَّتها على النبيّ إلياس ومريم العذراء بشكلٍ خاصٍّ.

وفى طريق عودته من البصرة إلى بغداد، قال: «.. ذهبنا من الكوفة إلى الحِلَّة، وكُنَّا نسير بمحاذاة شاطئ جميل (نهر الفرات) عليه نخل كثير، والمنطقة مأهولة بالسكَّان، لكنَّ الذُّباب كان كثيرًا، ولم يدعنا ننام بسهولة، فقد كان يهجم علينا ويتسلَّل تحت أغطيتنا وألحفتنا وداخل ملابسنا..»، ثمَّ استكمل حديثه بقوله: «.. تقع بابل الأثريَّة الشهيرة هنا فى الحِلَّة، وهذا يتَّضح من دراسة الموقع على الفرات، وكلُّ القرائن الموجودة بالمكان تؤكِّد ذلك، كاعتدال الهواء، ونقاء الدم، وقرب البرج الذى يُطلق عليه اسم (برج النمرود)..»، ثمَّ أضاف: «.. ولقد لقينا احترامًا كبيرًا فى مراكز الكمرك التى مررنا بها، وكنَّا نقول للموظَّفين أنَّنا من جماعة طوبجي باشا، الذى كان قائد المدفعيَّة فى بغداد ودمشق، وكان القوم هنا يكنُّون له احترامًا كبيرًا، ويهابون جانبه فى مختلف أنحاء البلاد، ثمَّ أضاف الأب فيليب: «لم نذهب لمشاهدة البرج؛ لأنَّ تلك الجهات كانت مليئة بالأعراب، وقد هجموا قبل أيَّام على قافلة مرَّت بجوار البرج، فضربوا أفرادها وقتلوا بعضهم، واستولوا على كلِّ ما لديهم من أموال ومتاع، وكان رئيس قطَّاع الطرق ابن شيخ تلك المنطقة، فاضطررنا للبقاء فى تلك البقعة يومَين بانتظار قافلة من الإيرانيِّين العائدين من الزيارة، حيث ذهبوا للتبرُّك بجسد أحد أوليائهم.

ثمَّ أضاف: خرجنا من الحِلَّة مساءً، فعبرنا الفرات على جسر من القوارب، وفى الصباح، على بُعد خمسة عشر ميلًا، لاحظنا أعرابًا يتجمَّعون على مسافة ليهاجمونا، ولكنَّنا أخذنا مواقع الدفاع والحيلة، فوضعنا بين كلِّ بندقية وأخرى عصا بشكل البندقيَّة، فخاف الأعراب لدرجة أنَّنا مررنا بالقرب منهم دون أن يتحرَّكوا.

ويتَّضح من ما تكرَّر ذِكره خلال رحلة الأب فيليب بخصوص الأعراب واعتراضهم للقوافل، أنَّهم جماعة من الخارجين عن القانون، يتكرَّر وجودهم فى كلِّ مكان وزمان فى حال ضعف السلطة الحاكمة، وكان العراق وقتها تحت الحكم

العثمانيّ.

ونختم موجز ما ذكره الأب فيليب عن أهل الحِلَّة: «إنَّهم ينحدرون من قبائل عربيَّة معروفة، ويعاملون الضيف بما عُرف عنهم من لطف وكرم عربيّ، وأضاف: إنَّ غالبيَّتهم من المسلمين، وهناك أعداد من المسيحيين، والأرمن، واليعاقبة، والنساطرة. ووصف الأب فيليب الحِلَّة بوجه عام: بأنَّها مدينة كبيرة محاطة بأسوار من الطين، وبها جسر من القوارب الكبيرة مصفوفة ومربوطة بالسلاسل الى الشاطئ»[1].

٥. الرحالة فريزر:

هو جيمس بيلي فريزر، وهوكاتب ورحَّالة إسكتلندي، عاش فى الفترة ١٧٨٣ - ١٨٥٦م، زار الهند، وبلاد فارس، ومن أهمِّ أعماله أنَّه وثَّق زيارته لسلسلة جبال هيمالايا المغطَّاة بالثلوج فى كتابه الذى نُشِر فى بريطانيا سنة ١٨٢٠م، وكان رسَّامًا ماهرًا بأسلوب الصبغ المائيّ، وسجَّل الكثير من ملاحظاته خلال رحلاته بالرسم.

صادف رحلة فريزر للعراق وقت تعرُّضها لوباء الطاعون، فجاءت ملاحظاته عن وصف حال البلاد والعباد أمام هذا الوباء الرهيب الذى انتقل من إيران للعراق فى الفترة من ١٨٣٠-١٨٣١م، فقال فى ملاحظاته: «.. ومن حوادث الوفيات الفريدة فى بابها، التى حصلت فى جهات الباشويَّة الأخرى، يمكن أن أذكر أنَّ الحِلَّة لم يكد يبقى فيها أحد من الناس بسبب الطاعون، بعد أن كان عدد نفوسها قبل الطاعون يناهز العشرة آلاف نسمة، ويبدو ممَّا استطعت أن أحصل عليه من الأخبار، أنَّه من المحتمل جدًّا أن يكون الطاعون قد أتى على ثلثي السكَّان، كلُّهم فى بغداد أيضًا، وأنَّ عدد الذين وقعوا فريسةً لهذا المرض لم يكن أقلَّ من مئة ألف نسمة، إن لم يكن أكثر.. ولا شكَّ

(١) مركز تراث الحِلَّة:
https://mk.iq/hellah/turath/$4585.

أنَّ الزيـادة الكبيرة للوفيات كان أيضًا بسـبب الفيضان الكبير الذى حدث مع الوباء فى نفـس الوقت، وقد وقع أوَّلًا فى الريف، فقطـع الطرق، ممَّا حال دون هروب الناس من الطاعون ومن الفيضان، وحوصر القسم الأعظم منهم ما بين الأسوار، ثمَّ تسرَّبت المياه إلى المدينـة نفسـها (الحِلَّة)، وعند ذلك لم تغرق الألوف مـن الناس، أو تُدفن فى خرائب البيـوت فقط، وإنَّما احتشـد من بقي منهم عـلى قيد الحياة فى مسـاحةٍ ضيِّقة فوق البقع الجافَّـة مـن الأرض، واضطرُّوا إلى اللجوء إلى البيوت الخَرِبة التى كانت مكتظَّة مسـبقًا بالنـاس، وهم محاطون بالمرض والدمار من كلِّ جهة، ومحرومون من المؤونة والملابس، ووسـائل اشـعال النار، كـما كان تراكم الجثث المتروكـة فى العراء سـببًا إضافيًّا أدَّى الى تفاقـم التأثيرات الناجمة عن تفشِّي الطاعون بتلويث الجوِّ، وجعله أشـدَّ إيذاءً وإهلاكًا للنفوس.

وقد انتقد فريزر تدابير الوقاية الصحيَّة ببلاد الشرق، وقال: إنَّ مثل هذا الانتشـار الكاسح للوباء لا يمكن أن يكون بنفس وتيرته فى حال حدوثه بالمدن الأوربيَّة، لوجود قـوَّات كافيـة من الشرطـة، والتزام الناس مسـبقًا بضوابـط الحجر الصحِّـيّ، والعزل الصارمة[1].

٦. الرحالة سوانسن كوبر:

هو الرحَّالة الإنجليزيّ أ.ج. سوانسن كوبر، وقد بدأ رحلته للشرق سنة ١٨٨٩م، من الإسكندريَّة والقاهرة فى مصر، ثمَّ ميناء الإسكندرونة وحلب ودير الزور وأبو كمال في سـوريا، ثمَّ زار عدَّة مدن في العراق، منها بغداد والحِلَّة والرمادى وكربلاء والبصرة، وواصـل رحلته بحرًا عـن طريق الخليج العـربيّ ليصف موانئه، كالمحمَّرة، وبوشـهر،

(١) جيمـس بيـلى فريـزر، رحلة فريـزر إلى بغـداد، ترجمـة: جعفـر الخيَّـاط، ط١، الـدار العربيَّة للموسوعات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م، ص١١٢.

وبنـدر عبَّاس، والبحرين، وهرمـز، ليصل إلى بومباى في الهند، ليعـود منها مرَّة أخرى إلى بلده إنجلترا.

وقد بدأ كوبر وصفه عن الحِلَّة بقوله: «.. استقبلنا عند مدخل الحِلَّة السيِّد (صديق سـيِّد حسن)، وهو رجل عربيّ وقور، وقد حللنا ضيوفًا عليه فى داره، وكان فى صحبتنا بالمدينة السيِّد (أحمد بن سعد حبة)، حيث مررنا وسط بساتين النخيل فى الجانب الشرقيّ من المدينة، وعبرنا النهر على جسر من القوارب، ومررنا بأسواق مماثلة لما رأيته فى بغداد، ولكنَّها أقل مسـتوى.. وأذكر هنا كرم الضيافة والترحـاب الواضح مِن جانب كلٍّ مَن قابلتهم، سـواء من جانب صاحب الدارالسـيِّد حسن، أو رفيق الصحبة السيِّد أحمد بن سعد، وأيضًا من جانب التجَّار...».

ثـمَّ أضـاف كوبر فى وصفه للسـيِّد صديق حسـن بأنَّه من سـلالة السـيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وأنَّ مظهره وسلوكه ينمُّ عن النُّبل والاحترام بدرجة كبيرة، وكانت ملامحه ذكيَّـة ودقيقة، وذو هيئة ارسـتقراطيَّة، وكان يرتدى عمامة كبـيرة خضراء داكنة، ورغم انحداره من نسل النبيّ صلى الله عليه وآله، إلَّا أنَّه لا يحتفظ مطلقًا بأيِّ مشاعر للتعصُّب ضدَّ المسيحيِّين، ويشـير لطفه وكرمه إلى المشاعر الكريمة التى يكنُّها نحو أمَّتنا (الأمَّة المسيحيَّة). ثمَّ جاء لزيارتنـا بعض من وجهـاء الحِلَّة، منهم القـاضى واثنين من الموظَّفـين الأتراك، وتاجر آثـار وتحـف يهوديّ، وقد عـرض علينا جوهرة تـاج ثمينة تعود للإمبراطـور الرومانيّ كومودس.. وبعد انتهاء جلسـة التعارف وانصراف الضيوف، قمنا للاسـتحمام، وكان الحـمَّام عبارة عن خيمـة مطَّاطيَّة هندية تسـتخدَم كحمَّام، وبعد الانتهاء مـن الحمَّام، تمَّ تجهيز المائدة للعشـاء، ووضِعت عليها الشوَك والسكاكين؛ اسـتجابةً لرغبتنا بألَّا نأكل بأصابعنـا، وقد اعتـذر مضيفنا، برغم لطفـه وكرمه عن الأكل معنـا، وقد يرجع ذلك لميوله الشـيعيَّة بعدم تناول الطعام مع المسـيحيِّين.. ومن مناقشـتنا مع السيِّد (مضيِّفنا)

عـن الحكم التركيّ، عرفنا أنَّه غير محبوب من أهالي الحِلَّة، وكذلك الحال بالنسـبة لأهل كربـلاء، كـما أنَّه لا يوجد حبّ متبادَل بين العرب من سـكَّان هذه المـدن والأتراك، كما عرفنا أنَّ سـيطرة الأتراك على العتبات الشـيعيَّة المقدسـة لمشـهد عليّ، ومشهد الحسين، تعتبر شوكة قاسية في خاصرة الفرس..».

وعـن وصف الحِلَّة، قال كوبر: «تقـع الحِلَّة ضمن الحدود القديمة لبابل، بُنيت من الآجرِّ المأخوذ من أطلالها، وموقعها ذو أهميَّة بالغة؛ لوقوعها على ضفَتَى الفرات، وهي وسـط الطريق بين بغداد والجنوب (الكوفة والبصرة)، والمدينة وسـط بسـاتين النخيل بكثافـة من كلِّ الجهات، ويحيطها سـور مبنيّ من الطين والآجرِّ، وتوجد أسـواقها على جانبـي النهر، ويبلغ عدد سـكَّانها حوالى ثمانية أو تسـعة آلاف، وغالبيتهم من العرب، وعـدد ليس بالقليـل من اليهود، وهـم مسـتوطنون بالمناطق المجاورة لبابـل القديمة، ويؤدُّون عباداتهم في كنيسة دانيال».

وفي صبـاح اليوم التالي: «.. اتَّجهنا نحو برس نمـرود، وهو يظهر بعد خروجنا من سور الحِلَّة مباشرةً، ويبدو كأنَّه هرم مُهَدَّم أو أطلال برج، وقد تمَّ بناؤه من الآجرِّ، ويبلغ طـول القاعدة حوالى ميلَين، وعرضه مائتين وأربعين ياردة، وارتفاعه حوالي مائة ياردة، وتـمَّ بناء ممر حلزونيّ داخل البرج بدرجات بطول عشرة ياردات للواحدة، تؤدِّي حتَّى القمَّة. وعند اقترابنا من الآثر، وجدنا حوله سـهل قاحل، والأرض موحلة ومستنقعيَّة من حوله، واضطررنا أن ندور حول المكان لتجنُّب هذه المستنقعات التي تشكَّلت بفعل فيضان فرع من الفرات، يُسمَّى قناة الهنديَّة، ووصلنا مقصدنا، والتقينا باثنين من العرب الفقـراء بالمكان، وأخبرونا أنَّ عددًا من الزوَّار الأوربيِّين يخيِّمون في هذا الأثر، فانطلقنا لنتعـرَّف عليهم، ولكن وجدناهم يعدُّون أنفسـهم للترحال إلى بغداد، وقد أزعجنا أنَّنا وجدنا من مخلَّفاتهم جثَّة طائر كبيرمن البجع الأبيض، وهذا شـكل وحشيّ من جانبهم؛

لأنَّ هـذه الطيـور لا تصلح للأكل أو لأيِّ شيءٍ آخر، وهم قتلـوه وألقوا جثَّته فى العراء بلا سبب..».

وأضـاف كوبر: «..وعند الوقوف بجانب حطام الآجرِّ على القمة، يمتدُّ أمام ناظر الرحَّالة بحيرة خضراء واسـعة تشكَّلت بفعل فيضانات مياه الربيع القادمة من أرمينيا، وإلى الـشرق تلٌّ كبير من الرمال، ارتفاعه أقـلّ قليلًا من الارتفاع الذى نقف عليه (على أطلال البرج)، وإلى الجنوب على مسافة حوالى سبعة أميال ترتفع من السهل مجموعة من أشجار النخيل التى تظلِّل ضريح النبيّ حزقيال، المسمَّى أيضًا (ذا الكفل)، ومن الشرق مسـجد الشمس، وباسـتثناء ذلك كان مجمل المحيط الواسـع عبارة عن قفر وخراب.. وقد سرنا عبر الفضاء الفسـيح الذى يفصل حتَّى التـلّ الثانى الذى يبلغ عرضه حوالي ربع ميل، وهو يشبه تل بابل إلى حدٍّ كبير، لكونه على شكل مستطيل متناسق الأضلاع، وكان سطحه غير مستوٍ ومتموِّج وحجريّ، يكثر فيه الآجرُّ فى بعض الأماكن، ومغطًّى بأنقاض صغيرة فى أماكن متفرِّقة، ممَّا يجعل من الصعب السير عليه، ويوجد على قمَّة هذا التل مرقد صغير ذو قبَّةٍ، غاصًّا بزوَّار من العرب، وبالاستفسار منهم عن المقام، علمت أنَّه قبر النبيّ إبراهيم الذى يقدِّسـه العرب فى هذه الأنحاء، ويتردَّدون عليه كشـكل من أشـكال الحجِّ على مدار العام. وينتمي العرب الموجـودون فى محيط هذا المكان إلى قبيلة خفاجة[1]، وكان في داخل المرقد أيضًا العديد من الناس يتلون آيات من القرآن الكريم. وبدخول الليل جلسنا نتناول العشاء فى بيت مضيِّفنا، وكان يتألَّف من اثني عشر صنفًا، منها الشوربة والكبَّة والبيلاف (مخلوط من الإرز والجزر واللحم)، والعديد من أصناف الخضروات المتنوِّعة.. ورغم كثرة الطعام، إلَّا أنَّ مضيِّفنا كان يعتذر كونه لم يسـتطع أن

(١) بنوخفاجة: قبيلة عربيَّة هوازنيَّة، يعود نسبها إلى بني عامر بن صعصعة، وقد انتقلوا إلى العراق والجزيـرة الفراتيَّة، وكانـوا أمراء العراق من قديم الزمان، وقد ذكـر الحمدانيّ منهم طائفة ببلاد البحيرة في مصر.

يقدِّم لنا سوى هذا العشاء البسيط، وبعد العشاء تبادلنا أطراف الحديث عن أحوال البلاد.. وعند الساعة السادسة من صباح اليوم التالي ودَّعنا السيِّد المضيِّف، وأخذنا طريقنا نحو مدينة المسيَّب[1].

الخاتمة

١. كشفت كتابات الرحَّالة العرب والأجانب أنَّ مدينة الحِلَّة تمثِّل امتدادًا حضاريًّا مباشرًا للمجال البابليّ، وأنَّ حضور بابل الأثريّ أسهم في تشكيل صورة الحِلَّة بوصفها مدينة محمَّلة بالذاكرة التاريخيَّة، تقوم فوق تراكمٍ حضاريٍّ سابق (خاصَّة بابل)، وتحمل آثار الماضي في عمرانها ودلالتها ورمزيَّتها.

٢. أظهرت الروايات الرحليَّة أنَّ الموقع الجغرافيّ للحِلَّة على نهر الفرات منحها مزيَّة إستراتيجيَّة مزدوجة، جمعت بين الدور التجاريّ والدور الزراعيّ، وجعلتها نقطة وصل بين بغداد ومدن العراق، خاصَّةً مدن الجنوب.

٣. أظهرت شهادات الرحَّالة العرب اهتمامًا أكبر بالبنية الاجتماعيَّة والدينيَّة للمدينة، إذ ركَّزوا على المساجد والمقامات، وأنماط المعيشة اليوميَّة، ما يعكس قراءة داخليَّة للمكان بوصفه فضاءً حيًّا، لا مجرَّد أثر.

٤. في المقابل كشفت كتابات الرحَّالة الأجانب ميلًا واضحًا إلى قراءة الحِلَّة من منظورٍ أثريٍّ وتاريخيّ، مع تركيز مكثَّف على أطلال بابل، وربط المدينة بالسرديَّات الكتابيَّة والأسطوريَّة الغربيَّة (ما يعرفه الرحَّالة الغربيُّون عن بابل والحِلَّة من الكتاب المقدَّس، وليس من الواقع الاجتماعيّ).

(١) أ.ج. سوانسن كوبر، رحلة في البلاد العربيَّة الخاضعة للأتراك، ترجمة: صادق عبد الركابيّ، ط١، الأهليَّة للنشر والتوزيع، عمَّان، الأردن، ٢٠٠٤م، ص٢٥٥-٢٥٨.

٥. دلَّـت المقارنة بين روايات الرحَّالة العرب والرحَّالة الأجانب على اختلاف في أنماط التمثيل؛ إذ قدَّمها الرحَّالة العرب بوصفها مدينة مستمرَّة في الزمن، بينما قدَّمها الرحَّالة الأجانب كفضاء وسيط يقود إلى الماضي السحيق.

٦. أظهرت الدراسـة أنَّ ازدهار الحِلَّة الزراعيّ، ولاسـيما بساتين النخيل وأنظمة الري، شكَّل عنصرًا مركزيًّا في وصف المدينة، واعتبر هذا مؤشِّرًا على استقرار المدينة الاقتصاديّ والاجتماعيّ عبر العصور.

٧. أكَّـدت المصـادر الرحليَّة أنَّ التحـوُّلات البيئيَّة والهيدرولوجيَّـة لنهر الفرات أثَّرت مباشرةً في عمران الحِلَّة ودورها الاقتصاديّ، وهو ما سُجِّل بوضوح في الرحلات المتأخِّرة، مقارنةً بالرحلات الوسيطة.

٨. بيَّنـت النتائـج أنَّ صـورة الحِلَّة في أدبيَّـات الرحلة لم تكن ثابتـة، بل خضعت لتحوُّلات زمنيَّة تعكس التغيُّرات السياسيَّة والاقتصاديَّة التي مرَّ بها العراق.

٩. كشفت الدراسة أنَّ الخطاب الرحليّ الأجنبيّ أسهم بشكلٍ مباشرٍ وغير مباشر في ترسـيخ صورة الحِلَّة بوصفها بوَّابة أثريَّة أكثر من كونها مدينة مأهولة، وهو ما انعكس لاحقًا في السياسات الاستعماريَّة والمعرفيَّة تجاه التراث العراقيّ.

قائمة المصادر

- عليّ الصلابيّ. دولة السلاجقة. القاهرة: المكتبة المصريَّة، ٢٠٠٦م.
- ياقوت الحمويّ. معجم البلدان. القاهرة: دار الكتب العلميَّة، ١٩٩٠م.
- أبو البقاء الحِلِّيّ. المناقب المزيديَّة في أخبار الملوك الأسديَّة. أبو ظبي: مركز زايد للتراث، ٢٠٠٠م.
- كاظم باجي الخالديّ. رحلة ابن جبير. سيدني، صحيفة المثقَّف، ٢٠١٦م.
- عليّ محسن عيسي. العراق في رحلة ابن جبير. بغداد: مجلَّة المورد، ١٩٨٩م.

- إبراهيم عبد الغني الدروبيّ. البغداديُّون أخبارهم ومجالسهم. بغداد: مطبعة الرابطة، د.ت.
- شهاب الدين الحمويّ البغداديّ. معجم البلدان. بيروت: دار صادر، ١٩٧٧م.
- نبيل عبد الأمير الربيعي. دراسة التراث في العراق، بغداد، مجلَّة الجامعين، تموُّز ٢٠١٧م.
- ابن حجر العسقلانيّ. الإصابة في تمييز الصحابة. موقع نداء الإيمان، ٢٠١٦م.
- محمَّد يسري. مقال: عين ابن بطُّوطه في حبّ العراق وأهله، موقع: ارفع صوتك، ١٣ أبريل ٢٠٢٣م.
- حيدر السيِّد موسى. مزارات الحِلَّة الفيحاء. الحِلَّة: مركز تراث الحلة، د.ت.
- العلَّامة العباس بن عليّ الموسويّ المكِّيّ. نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس، المكتبة الحيدريَّة، ١٣١٧هـ.
- د. صلاح جرار. زمان الوصل. بغداد: المؤسَّسة العربيَّة للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م.
- نجوي غزالي. محاضرات في العهد القديم. القاهرة: المكتبة القبطيَّة ، ٢٠١٥ .
- السيِّدة ديو لافوا. رحلة مدام ديو لافوا من المحمَّرة إلى البصرة وبغداد، بيروت: الدار العربيَّة للنشر، د.ت.
- جيمس بكنجهام. رحلتي إلى العراق. بغداد: المجمع العلميّ، ١٩٦٩م.
- جيمس بيلي فريزر. رحلة فريزر إلى بغداد، بيروت: الدار العربيَّة للموسوعات، ٢٠٠٦م.
- أ.ج. سوانسن كوبر. رحلة في البلاد العربيَّة الخاضعة للأتراك، الأردن: الأهليَّة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.